

مراد البسطامي*

هجرة الخلايلة إلى القدس قبل سنة ١٩٤٨: الخروج ولعنة المدينة

جرت العادة أن يكون اتجاه الهجرة الداخلية من الأرياف إلى المدن حيث تتوفر نوعية حياة أفضل، وخصوصاً بعد أن انتقل الثقل الاقتصادي من هذه الأرياف إلى المناطق الحضرية، وعمّ الفقر تلك الأرياف، فضلاً عن العوامل الطبيعية التي تؤدي إلى هذه الهجرة، لكن في حالة هجرة سكان الخليل، وهي واحدة من المدن الكبيرة في فلسطين، إلى مدينة القدس، فإن هذه الهجرة كانت من منطقة حضرية إلى منطقة حضرية أخرى، فما هي الأسباب؟

والغساسنة ممّن سكنوا بلاد الشام، وشكلوا نواة الجماعات المسيحية^٣ والإسلامية وبعض الفرق اليهودية، وخصوصاً اليهود الشرقيين، ضمن دائرة من الجدل والجدل المقابل والتأويل بشأن الأحقية في المكان. تعرضت مدينة القدس عبر تاريخها لكثير من الحروب والتقلبات الاجتماعية والسياسية، وحتى التقلبات اللغوية، وطبعاً هذا لا يعني اختزال تاريخ القدس الطويل. ولعل من أهم الأحداث المفصلية التي أثّرت في تاريخ القدس الديموغرافي، قيام الفرنجة

عرفت مدينة القدس عبر التاريخ العديد من الحضارات والجوالي والجماعات المهاجرة، حتى إن بعض المؤرخين يعتبر أن الحملة الصليبية الأولى كانت عبارة عن هجرة دينية جماعية، نظراً إلى مشاركة كثير من الأطفال والنساء والشيوخ فيها. وتقول الرواية الإسرائيلية إن اليهود القدماء هم أول الجماعات المهاجرة التي وفدت إلى المدينة، وإنهم أول من بنى المدينة، بينما يدّعي الفلسطينيون^١ أن سكان هذه المنطقة، في معظمهم، يتحدرون من قبائل "جذام ولخم"، وأنه انضم إليهم فيما بعد العدنانيون^٢

* كاتب وباحث فلسطيني من سكان القدس.

في أثناء احتلالهم للقدس في سنة ١٠٩٩ بقتل وتهجير معظم سكان المدينة بمن فيهم اليهود، الأمر الذي أدى إلى تغيير التركيبة السكانية بشكل جذري. وبعد الفتح الصلاحي^٤ في سنة ١١٨٧، استحضر صلاح الدين العديد من القبائل العربية والكردية،^٥ وتحديداً، قبائل بني سعد^٦ وبني غانم. وتزامنت مع هذه الفترة، موجات هجرة متتابعة لأقليات يمكن وصفها بالهجرة الدينية الإسلامية مثل: هجرة المغاربة،^٧ والإيرانيين، والأفغان والبخار والتركمان والأترك والألبان والأوزبك والبشناق، والهنود والجالية الأفريقية التي جاءت من وسط أفريقيا وتشاد،^٨ علاوة على الدوم أو من يُعرفون "بالنور"، والذين وفدوا إلى المدينة من شمال العراق، وعلى بعض الشراكسة.^٩ وتُعتبر هذه الهجرات مفتاحاً لفهم أصول التركيبة السكانية الموجودة في القدس حالياً.

وفي أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حدثت موجات هجرة^{١٠} متعددة ومكثفة منها: الهجرة الاستيطانية التي تزامن حضورها مع بدايات المشاريع الاستيطانية، ولا سيما الهجرات البروتستانتية^{١١} والهجرات اليهودية، وهجرة الألمان الهيكليين، واليونانيين والأميركيين. ومن تجليات هذه الظاهرة أن نمت الجوالي في مدينة القدس لأسباب متنوعة، لعل أبرزها الأسباب الدينية مثلما فعل اليهود، والروس، واليونانيون، والأحباش وبعض الطوائف المسيحية الأخرى، وخصوصاً البروتستانتية، ومنها من جاء لأسباب متعلقة بالجوع، كما فعل بعض اليهود بسبب موجات معاداة السامية والمجازر، وخصوصاً في سنة ١٨٨٢، والأرمن^{١٢} بعد مجازر سنة ١٩١٥.

ومن هذه الجوالي من جاء لأغراض استشرافية كولونيالية، ومن هذه الجوالي: الأميركية والألمانية واليونانية. وساد أيضاً نوع مغاير من الهجرة تمثل في الهجرة الاقتصادية إلى المهجر وما تعنيه هذه الظاهرة من تبدل في الأدوار والملكية ورأس المال الاجتماعي، وقد تسارعت هذه الهجرة في أواخر القرن التاسع عشر، وبعد رحيل العثمانيين، بسبب سوء الأحوال المعيشية والفقر والمجاعة. وتمتاز هذه الهجرات بأنها كانت لأسباب اقتصادية أو تعليمية، ولم تكن هجرة قسرية مثلما كانت عليه الحال في سنة ١٩٤٨، لكن التغيير الأهم الذي أحدثته الهجرة هو تأثيرها في ملكية الأراضي والزعامة المحلية،^{١٣} وتأسيسها لجوال عربية في المهجر، وخصوصاً في الأميركيين.

ستؤدي الهجرات المكثفة والمتنوعة في شكلها ومضمونها، والتي حدثت في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، دوراً مهماً في تحديد شكل المدينة ومستقبلها السياسي والتاريخي والاجتماعي، ومن هذه الهجرات هجرة العائلات الخيلية إلى القدس أو من بات أفرادها يُعرفون بـ "خيلية القدس".^{١٤} وتسعى هذه المقالة لتسليط الضوء على الأسباب التي أدت إلى هجرة العائلات الخيلية إلى مدينة القدس، وخصوصاً في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، والتحويلات التي أصابت المدينة، وانعكاس ذلك على الطابع الديموغرافي، والمشهد والحياة الثقافية.^{١٥} لكن يبقى السؤال الأهم وهو: لماذا الهجرة إلى القدس تحديداً، وليس إلى يافا أو حيفا؟ كذلك ما هي العوامل التي أدت إلى هذه الهجرة؟ وما هو السياق

السياسية، وبرز منهم كثيرون من القيادات التي قامت بدور محوري في معارك القدس ومختلف الثورات الفلسطينية، ولا سيما أنهم يشكلون قوة سكانية واقتصادية لا يستهان بها.

ارتبطت هجرة العائلات الخليلية بمجموعة من السياقات التي ساعدت في تشكيل الخريطة السياسية والاجتماعية والعائلية في مدينة القدس في أواخر العهد العثماني. ومن أهم هذه العوامل: بروز زعامة ظاهر العمر (١٦٨٩ - ١٧٧٥) الذي أقام ما يمكن تسميته أول كيانية أقامها سكان هذا البلد الأصليون، كذلك صعود وأفول بعض العائلات الحاكمة، وخصوصاً بعد الانتقال في نظام جباية الضرائب من نظام التيمار أو الإقطاع العسكري إلى نظام الالتزام، إذ أدى هذا التغيير في نظام الإدارة المحلية إلى ازدياد دور القوى المحلية اقتصادياً وسياسياً،^{١٩} وتحديداً: آل رضوان^{٢٠} وآل فروخ^{٢١} وآل طراباي^{٢٢}. ومن الأحداث المهمة: ثورة نقيب الأشراف^{٢٣} حملة نابليون على الشرق؛ ظهور زعامة أحمد باشا الجزائر وأفولها؛ حملة إبراهيم باشا. كما شكّل افتتاح القنصليات الأجنبية منحى آخر في التحولات التي أصابت المنطقة، وخصوصاً الدور الذي اضطلعت به القنصلية البريطانية وما يعنيه ذلك، إذ افتتح الإنجليز أول قنصلية أوروبية في القدس في سنة ١٨٣٨، ثم افتتحت بروسيا قنصليتها في سنة ١٨٤١، وافتتحت القنصلية الفرنسية في سنة ١٨٤٣، وبعدها أميركا في سنة ١٨٤٤، ثم تلتها النمسا في سنة ١٨٤٩، وأخيراً روسيا في سنة ١٨٥٨.. وطبعاً لا يمكن اختزال جميع هذه العوامل بمجرد ذكرها، فكل منها يشكل مسألة دراسية بحد ذاتها.

التاريخي والاجتماعي الذي وُجدت فيه هذه الهجرة؛ وكيف انعكس واقع الهجرة الجديد على العلاقات بين السكان في بحر المدينة الواحدة؟

هناك مجموعة من العوامل أدت إلى هجرة العائلات الخليلية إلى مدينة القدس، وبالتالي لا يوجد تاريخ دقيق لتأويل هذه الهجرة، وذلك على عكس بعض الفئات الأخرى كالأرمن واليهود مع اختلاف السياق. غير أن هذا الطرح لا ينفي وجود عائلات سكنت الخليل ولا تعود أصولها إلى الخليل والتحقّت بالعائلات الخليلية في موجات الهجرة، وخصوصاً بعض العائلات التي وفدت من عسقلان والعريش والشام وبعض القبائل البدوية. إلا إن سنة ١٤٧٣ وما تلاها من أحداث، مثلما يورد بعض الأدبيات، شهدت موجة هجرة إلى القدس عندما وقعت الصدمات الدموية بين العائلات الكردية والعائلات العربية التميمية، إذ نتج من هذه الأحداث جلاء كثير من الأكراد إلى القدس ونبلس واللد.^{١٦} لكن الفترة الأهم للهجرة كانت عشرينيات القرن الماضي بعد أفول الحكم العثماني، إذ حدثت موجات هجرة كبيرة من الخليل إلى القدس، ولا سيما بعد تزايد الهجرة اليهودية واستفحال المشروع الصهيوني، فضلاً عن تعاظم الصراع بين العائلات والأحزاب الوطنية العربية،^{١٧} وشعور بعض القيادات بالخطر الصهيوني، والذي تُوّج بدعوة بعض القيادات العربية إلى النفي، وخصوصاً المفتي أمين الحسيني^{١٨} الذي دعا العائلات الخليلية تحديداً إلى القدوم والسكن في القدس من أجل حمايتها، بعد أن زادت الاضطرابات بين العرب واليهود. وأدى "خليفة القدس" دوراً مهماً في الأحداث

وكان لزوال دور الزعامات المحلية في الجليل في أوائل القرن التاسع عشر، وانتقال مركز الإدارة من عكا إلى بيروت في عهد التنظيمات العثمانية أهمية كبرى أيضاً، إذ ترك ضعف النخبة المحلية فراغاً ملاًه بعض العائلات اللبنانية مثل: سُرسق وتويني والخازن وغيرها. وفي المقابل برزت عائلات في نابلس وجنين ومحيطها مثل: آل طوقان وجرار والأحمد وعبد الهادي والبرغوثي. أمّا في لواء القدس فبرز دور العلماء والأعيان مثل: آل الحسيني والنشاشيبي والخالدي والعلمي والدجاني وغيرها، وعائلات آل السمحان وأبو غوش في المناطق الجبلية، بينما برزت في الخليل عائلة آل عمرو، والعزة في بيت جبرين. وسعت هذه العائلات لاستعادة مكانتها مع عودة الدولة العثمانية بعد حملة إبراهيم باشا، وهذا طبعاً لا ينفي الدور المهم الذي قامت به القبائل البدوية، وخصوصاً قبائل الترابين والعزازمة وعرب السواحة والتعامرة، في الصراعات والاضطرابات المحلية.

ومن العوامل المهمة في صعود بعض العائلات قانون تسجيل الأراضي في سنة ١٨٥٨، إذ تمكّن بعض التجار من تسجيل مساحات واسعة من الأراضي بسبب عجز الفلاحين عن إثبات ملكيتهم، أو خوفاً من الضرائب والتجنيد الإجباري، وقد نتج من ذلك نشوء فئة كبار ملاكي الأراضي، وخصوصاً في القدس ونابلس والجليل، وكذلك بعض العائلات المسيحية واللبنانية، وقد تكوّن هؤلاء الملاك من التجار والطبقة الوسطى الذين امتلكوا الأراضي عن طريق التسجيل. أمّا الفئة الثانية فتكونت من الرأسماليين الأجانب واليهود وما يحمل ذلك

تُعتبر التنظيمات العثمانية السياق الآخر الذي انبثقت منه هجرة العائلات الخليلية، ولعل أهم ما جاء فيها صدور قانون الولايات العثماني الجديد في سنة ١٨٦٤، والذي تم بموجبه تقسيم الدولة العثمانية إلى ٢٧ ولاية جرى تقسيم كل ولاية إلى عدد من المتصرفيات "الألوية"، كما قُسم كل لواء إلى عدد من الأقضية، وكل قضاء إلى عدد من النواحي، والناحية إلى عدد من القرى، وهكذا. وقد اقتضى النظام الإداري الجديد اتّباع المركزية الشديدة، فقيّد الأجهزة الإدارية في الولايات. واختتمت الإصلاحات والتنظيمات العثمانية بإصدار الدستور العثماني في سنة ١٨٧٨، والذي نص على إنشاء المجلس العمومي "البرلمان" الذي يتكون من مجلس الأعيان الذي يعيّن السلطان أعضائه، ومجلس المبعوثان الذي يتم اختيار أعضائه بالانتخاب. غير أن التجربة الدستورية لم تعمر طويلاً، إذ قام السلطان عبد الحميد في سنة ١٨٧٢ بحل البرلمان حتى سنة ١٩٠٨ عندما أعادت جمعية الاتحاد والترقي العمل بالدستور في سنة ١٩٠٨، حين سمح الدستور لسكان الدولة العثمانية لأول مرة بممارسة الانتخاب واختيار نواب يمثلونهم في مجلس المبعوثان.^{٢٤}

يمكن القول إن التنظيمات العثمانية^{٢٥} سمحت ببدايات التغلغل الأجنبي، الأمر الذي انعكس على عمليات شراء الأراضي وبدايات الوجود الاستيطاني والهجرات الاستيطانية. وساعدت التنظيمات على اندماج المنطقة اقتصادياً في السوق الرأسمالية، والذي تزامن مع تطور التجارة البحرية بعد تطوير الملاحة البخارية وافتتاح قناة السويس، وازدياد النفوذ السياسي الأوروبي والنشاط التبشيري.

حاجاتهم، فضلاً عن صراعاتهم العائلية والقبلية. ومن العوامل الأكثر أهمية المجاعة التي حدثت في إبان الحرب العالمية الأولى. ثمة عدة عوامل عديدة لتفسير هجرة العائلات الخليلية إلى القدس، ولعل من أهمها: انعدام الأمن والاضطرابات والصراعات المحلية التي عاشتها الخليل؛ الحداثة العثمانية؛^{٢٦} تطور الأسواق في القدس؛ نمو الأحياء الجديدة خارج الأسوار؛^{٢٧} الموقع الجغرافي وتطور طرق المواصلات.

١ - انعدام الأمن والاضطرابات والصراعات المحلية^{٢٨}

قامت الدولة العثمانية في أثناء حكمها بالقضاء على معظم النزعات الاستقلالية وبعض الزعامات المحلية مثل: آل رضوان، وآل فروخ، وآل طراباي، وظاهر العمر والزيديين، وفيما بعد ثورة نقيب الأشراف. وتخلل هذه الفترات العديد من الأحداث المحلية؛ مثل: الحروب بين القبائل البدوية، وخصوصاً الحرب التي دارت بين قبائل الترابين في الجنوب، والصراع بين التميميين والأكراد في مدينة الخليل، والصراع اليمني والقيسي.^{٢٩} وفي المقابل، أبقى العثمانيون عدداً من الأمراء المحليين في فلسطين وغيرها، وكان هؤلاء قد اعترفوا بالسلطة العثمانية، وتعهدوا بإقامة الأمن وجباية الضرائب. وبصورة عامة، تعاملت الدولة العثمانية مع الزعماء المحليين بالقمع أحياناً، وبالاحتواء والتعيين في المناصب، ومنح الإقطاعات أحياناً أخرى.^{٣٠} لقد ترك زوال حكم العائلات الأنف ذكرها فراغاً سياسياً وعسكرياً كبيرين، ولذا انتشرت في ريف فلسطين ومنها الخليل، منذ أواخر القرن

من معنى، وتحديداً بعد قانون بيع الأراضي للأجانب في سنة ١٨٦٧، إذ كان لهذا القانون دور مهم في انتقال الأراضي إلى غير رعايا الدولة العثمانية بصورة قانونية. وستنعكس هذه التغيرات على واقع الفلاحين في القرى والنواحي ومنها الخليل.

أدت التنظيمات العثمانية وقانون تسجيل الأراضي إلى ظهور ملكيات الأرض الكبيرة، وبروز شريحة من الفلاحين الذين يعملون في أرض لا يملكونها. وتسبب تحسّن الأوضاع الأمنية النسبي، وازدياد الإنتاج الزراعي والتصدير إلى أوروبا، بانتقال مركز الثقل الاقتصادي والديموغرافي من المناطق الجبلية إلى المناطق الساحلية، وتحولّ الفلاحين من الجبال إلى الساحل والأغوار للعمل في الأراضي الجديدة التي جرى استصلاحها، إذ كانت فلسطين تصدّر القمح والشعير والذرة والسمسم وزيت الزيتون والصابون والفاوكة والخضروات. وعلى الرغم من التحسن الاقتصادي، فإن أغلبية الفلاحين ظلت تعمل في مشقة لتأمين لوازم معيشتها الأساسية، وعظمت الفجوة بين الأغنياء والفقراء، بحيث أصبحت المدن الساحلية والقدس أكثر ثراء وازدهاراً من المدن الداخلية؛ ولهذا هاجر عدد كبير من مدن الداخل إلى حيفا ويافا والقدس تحديداً، كما هاجر كثير من الخليل إلى القدس بسبب مشكلة التأقلم مع أوضاع الحياة الصعبة في الأراضي الزراعية، من حيث طبيعة العمل الشاق، وكذلك الأمراض التي يتعرض لها المزارعون، وبسبب الاضطرابات الداخلية، فيئس كثيرون منهم من هذا الوضع، وبعضهم غادر المكان. كذلك واجه الفلاحون ضائقة اقتصادية لأن إنتاجهم لم يكفٍ لسدّ

السابع عشر، ظاهرة التحزب والتسلح، ونشوء فئات مشايخ القرى والنواحي ذوي النفوذ والطموح الاقتصادي والسياسي، مترافقين بكثير من الصراعات والتوترات بين هذه المشايخ والفئات. "وحاولت الدولة العثمانية في تلك الفترة استعادة سلطتها المركزية على بعض المناطق شبه المستقلة، مثل جبل الخليل، فألقت بهذه المهمة الصعبة على مرافق الوزير، متصرف لواءي غزة والقدس محمد باشا أبو المرق، وفعلاً، قام الأخير بحملة عسكرية على ناحية جبل الخليل، فاحتل قرية بيت جبرين وقلعتها التاريخية الحصينة".^{٣١}

تأثرت مدينة الخليل بصورة عامة بعدة أحداث مهمة جعلت من المدينة مسرحاً للصراعات والنزاعات المزمنة. ومن هذه الأحداث: الحملة الفرنسية:^{٣٢} حملات القمع العثمانية؛ حملة إبراهيم باشا؛ الصراع بين التميميين والأكراد؛ الصراع القيسي اليميني؛ الصراع مع الحركة الصهيونية فيما بعد؛ الاضطرابات الداخلية والدموية التي كانت تحدث بين العائلات. "كانت منطقة جبل الخليل [...] الأكثر عصياناً وتمرداً على سلطة الإدارة العثمانية وحكام الشرع خلال أجيال متعاقبة منذ القرن السابع عشر على الأقل. وقد برز بين العائلات القوية في ناحية جبل الخليل آل عمرو في دورا،" ف"أبناء هذه العائلة بسطوا نفوذهم حتى إلى مدينة الخليل نفسها، ومنعوا من تعيين متسلم فيها لحفظ الأمن وجباية الضرائب من الأهالي. فلما عُيّن أحمد باشا الجزار والياً على الشام مضافة إلى حكمه على ولاية صيدا في سنة ١١٩٩هـ/١٧٨٥م، قرر إعادة السيطرة على المنطقة بعد أن شاع تسلط الفلاحين العصاة

وغيرهم من الخارجين عن القانون".^{٣٣} شكلت الحملة المصرية بقيادة إبراهيم باشا كارثة بالنسبة إلى مدينة الخليل، إذ قمع إبراهيم باشا الثورة التي قامت ضده، وقصف مدينة الخليل بالمدفعية، إلى درجة أنه لم يتبق في المدينة سوى الأطفال والنساء والعجائز، بينما فرّ كثير من شباب الخليل إلى شرق الأردن والجبال هرباً من بطش المصريين، وخوفاً من التجنيد الإجباري والضرائب التي فرضها إبراهيم باشا، والتي كانت السبب الرئيسي في الثورة عليه. وشكّل الصراع بين التميميين والأكراد فضلاً آخر من طبيعة الأجواء التي سادت في الخليل في إبان تلك الفترة، وتعود جذور هذا الصراع إلى سنة ١٤٧٣ عندما وقعت مذبحه السلطان قايتباي، فجرت صدامات دموية بين الطرفين راح ضحيتها العشرات من الطرفين، جزاء الصراع على الزعامة والتنافس بين العائلات الكردية^{٣٤} والعائلات العربية التميمية.^{٣٥} ونجم عن هذه الصراعات جلاء كثير من الأكراد إلى القدس ونابلس واللد، الأمر الذي يفسر الانتشار الواسع لعدد كبير من العائلات الخليلية في القدس ومدن الضفة الغربية. أمّا بالنسبة إلى الصراع القيسي واليميني، فإن الدولة العثمانية لم تكن قادرة على فرض سيطرتها المباشرة على هذه المنطقة في المرحلة الأولى من التنظيمات والممتدة حتى أواسط الخمسينيات. ومع أن جميع العائلات والقبائل قيسية، إلا إن اقتتالاً وقع بينها على المناصب، وبرز بين هذه العائلات آل عمرو الذين واجهوا صعوبات خلال فترة الحكم المصري، إذ شارك أهل الخليل بقوة في هذه الصراعات. وبعد انتهاء حملة إبراهيم باشا في سنة ١٨٤٠، استمرت النزاعات القبلية

لم تكن الحال في مدينة القدس مشابهة، وإنما استغلت النخب المقدسية حالة الضعف الموجودة لتعزيز نفوذها، فأدت دوراً في التوسط خلال الاضطرابات التي وقعت في مدن الخليل ونابلس. والعامل الأهم أن المقدسيين شكلوا مؤسسات حاضنة كي تضمن نفوذهم مثل نقابة الأشراف ومشيخة الحرم والإفتاء والأوقاف، ولضمان سيطرتهم على القرى والأرياف والتحكم في المدن. فالزعامة الدينية كانت تعني أيضاً الزعامة السياسية المحلية،^{٣٩} بحيث إنهم توارثوا أهم المناصب فيما بينهم، لكنهم لم ينقلبوا أو يثوروا على العثمانيين،^{٤٠} أو أن يتحالفوا مع الغرب ضد الدولة العثمانية مثلما فعل بعض الإقطاعيين في لبنان مثلاً،^{٤١} بل كانت أكثر الثورات مثل ثورة نقيب الأشراف أو حتى مقاومة إبراهيم باشا ذات أبعاد سياسية وبتحريض من الإقطاعيين للحصول على مكاسب وأراض أكثر، أو لتصفية الخلافات فيما بينهم، أو لرفضهم دفع الضرائب والتجنيد الإجباري. وفي الوقت نفسه أدى والي دمشق دوراً مؤثراً في تأجيج هذه الخلافات والنزاعات بين الإقطاعيين والمشايخ.

٢ - الحداثة العثمانية

حدثت في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين نهضة عمرانية وفكرية في بعض المدن العربية، ومنها القدس، إذ شهدت تلك الفترة طفرة عمرانية شملت إدخال الكهرباء، والسيارات والسينما والفونوغراف، وبناء أحياء جديدة خارج الأسوار، وبناء مؤسسات حيوية مثل المستشفيات والمدارس والمنشآت الاقتصادية

وحدثت عدة معارك بين القيسية واليمينية، وتحديدًا بين آل سمحان^{٣٦} "زعماء القيسية"، وأبو غوش "زعماء اليمينية"، وصولاً إلى معركة خروبة قرب جنين في سنة ١٨٥٨. "أمّا قرى جبل الخليل، فانتمت سكانها في أغلبيتهم العظمى إلى صف القيس بزعامه آل عمرو من دورا، وآل العملة ومعلهم قرية بيت أولا، وآل العزة ومعلهم قرية بيت جبرين. وأمّا أهالي مدينة الخليل نفسها فانتمت بعضهم إلى صف اليمين بزعامه آل بدر التميمي. لم تقتصر الصراعات بين مشايخ صفّي القيس واليمن على مناوشات محلية بين سكان القرى والنواحي المجاورة بعضها لبعض، فقد حدث أحياناً أن حضرت نجدات لهذا الطرف أو ذلك من مناطق ريفية بعيدة، بل حتى من بعض القبائل البدوية المجاورة."^{٣٧}

جعلت هذه الأحداث من الخليل مكاناً مضطرباً وغير آمن للعمران والاستثمار، ولذا كان لا بد من اللجوء إلى مناطق قريبة أكثر استقراراً وأماناً، وخصوصاً أن عمليات القتل والانتقام كانت تؤدي أحياناً إلى جلاء عائلات بأكملها. "سيظهر كيف أن الصراعات الطائفية نمت في أحشاء الصراعات الإقطاعية ورافقتها، فالواقع كان يتجسد وقتها بصراعات إقطاعية بين عائلات إقطاعية بغضّ النظر عن طوائفها حيث كان الصراع يصير بين فئتين تضم كل فئة منهما عائلات من طوائف مختلفة كصراع القيسيين واليمنيين أو اليزبكيين والجنبلانيين. واستمرت هذه الصراعات على هذا الشكل حتى حوادث أنطلياس ولحفد، حيث بدأت الأشكال الطائفية في النمو ضمن أحشاء الصراعات الطائفية السابقة."^{٣٨}

والأماكن الدينية، وخصوصاً بعد تنشيط السياحة الدينية بسبب الامتيازات الأوروبية. وعبرت هذه الحداثة عن نفسها من خلال الفن المعماري،^{٤٢} وتنظيم طرق المواصلات والنظام الإداري والقضائي والإصلاحات في الاقتصاد والتعليم والجيش والبنى التحتية، وتنظيم المدن وبناء مرافق جديدة.^{٤٣} وتوقفت هذه الحداثة أو النهضة مع اندلاع الحرب الكونية الأولى وبسبب الاستعمار الإنجليزي، لكنها سرعان ما تطورت بأطراد، بفعل تزايد الطلب على النفط وتطور الموانئ والمدن الساحلية وازدهار قناة السويس والطرق التجارية البحرية، غير أن هذه التطورات الاقتصادية أفرزت في الوقت نفسه، نخباً جديدة كومبرادورية تجارية ومصرفية.^{٤٤} تميزت فترة الانتداب بصورة عامة بتطوير شبكات الطرق الجديدة، والاتصالات والبريد وإدخال الكهرباء والسيارات وعربات النقل الحديثة، وتطور المكتبات وافتتاح المتاحف والأندية الرياضية والجمعيات الخيرية، علاوة على تأسيس الإذاعة الفلسطينية في سنة ١٩٣٦. ونما مع هذه النهضة أنماط حديثة من أنماط العمل مثل: تطور القطاع المصرفي والبنوك^{٤٥} والفنادق، وخصوصاً في مدينة القدس، والتي أسست لتكون مخصصة للسياحة الدينية ولخدمة وتصرف الضباط الإنجليز والموظفين الرسميين، كما رافق هذه الفترة نمو ملحوظ لدور المقاهي^{٤٦} والملاهي ودور السينما^{٤٧} والساحات العامة. أدت النهضة التي حدثت في أواخر العهد العثماني وفي فترة الانتداب إلى بروز شرائح جديدة في المجتمع مثل:

– الشرائح التجارية أو برجوازية كومبرادورية:^{٤٨} شملت هذه الفئات كبار

ملاك الأراضي الذين يتميزون من البرجوازية الزراعية الجديدة.

– الشرائح الصناعية: ويعنى بها أصحاب المصانع والمعامل، إذ لم يكن هناك برجوازية صناعية مثلما كانت الحال في المدن الأوروبية.

– الشرائح التجارية: وتجنني أرباحها من التجارة مع الدول الرأسمالية المتطورة، وهذه الفئة ازدهرت بصورة خاصة في فترة الانتداب.

– الأوليغارشية المالية من خلال القطاع المصرفي: تركز القطاع المصرفي في يد الجالية اليهودية مثلما يورد عارف العارف، بينما برزت شخصية مصرفية فلسطينية مهمة ستؤدي دوراً مهماً على صعيد المنطقة هي عبد الحميد شومان الذي جمع ثروته في الولايات المتحدة، ثم استثمرها في البنك العربي.^{٤٩} غير أن هذه الفئة تطورت بصورة ملحوظة في لبنان بسبب ازدهار تجارة الترانزيت ونظام الكومسيون والحوالات المالية النفطية، حتى إنها أنشأت حياً للمصارف في وسط بيروت، ومن أفراد هذه الفئة ريمون عودة الفلسطيني صاحب بنك عودة.

– الفئات والشرائح المهيمنة: كبار ملاكي الأراضي والصناعيون وكبار التجار والمهنة الحرة وكبار الموظفين، وقد تركزت هذه الفئة في عائلات الحسيني والنشاشيبي والخالدي وعبد الهادي وغيرهم من غير الفلسطينيين كعائلة سرسق والجزائري.

– الفئات المتوسطة: الفلاحون المالكون والحرفيون وصغار التجار وصغار المقاولين والأجراء الدائمون غير العمال.

– الفئات الشعبية: البروليتاريا والبروليتارية الرثة المدنية والريفية.

والأماكن الدينية، وخصوصاً بعد تنشيط السياحة الدينية بسبب الامتيازات الأوروبية. وعبرت هذه الحداثة عن نفسها من خلال الفن المعماري،^{٤٢} وتنظيم طرق المواصلات والنظام الإداري والقضائي والإصلاحات في الاقتصاد والتعليم والجيش والبنى التحتية، وتنظيم المدن وبناء مرافق جديدة.^{٤٣} وتوقفت هذه الحداثة أو النهضة مع اندلاع الحرب الكونية الأولى وبسبب الاستعمار الإنجليزي، لكنها سرعان ما تطورت بأطراد، بفعل تزايد الطلب على النفط وتطور الموانئ والمدن الساحلية وازدهار قناة السويس والطرق التجارية البحرية، غير أن هذه التطورات الاقتصادية أفرزت في الوقت نفسه، نخباً جديدة كومبرادورية تجارية ومصرفية.^{٤٤} تميزت فترة الانتداب بصورة عامة بتطوير شبكات الطرق الجديدة، والاتصالات والبريد وإدخال الكهرباء والسيارات وعربات النقل الحديثة، وتطور المكتبات وافتتاح المتاحف والأندية الرياضية والجمعيات الخيرية، علاوة على تأسيس الإذاعة الفلسطينية في سنة ١٩٣٦. ونما مع هذه النهضة أنماط حديثة من أنماط العمل مثل: تطور القطاع المصرفي والبنوك^{٤٥} والفنادق، وخصوصاً في مدينة القدس، والتي أسست لتكون مخصصة للسياحة الدينية ولخدمة وتصرف الضباط الإنجليز والموظفين الرسميين، كما رافق هذه الفترة نمو ملحوظ لدور المقاهي^{٤٦} والملاهي ودور السينما^{٤٧} والساحات العامة. أدت النهضة التي حدثت في أواخر العهد العثماني وفي فترة الانتداب إلى بروز شرائح جديدة في المجتمع مثل:

– الشرائح التجارية أو برجوازية كومبرادورية:^{٤٨} شملت هذه الفئات كبار

٣ - تطور الأسواق ونموها

ويضاف إلى ذلك الدور الذي اضطلعت به الجوالي والحجاج الذين زاروا المنطقة بقصد الحج والزيارات الدينية،^{٥٠} وبالتالي بروز صناعة أخرى هي السياحة والفندقة، والتي ستوارثها العائلات المسيحية تحديداً. "في سنة ١٨٦٣ صدر فرمان خاص بتأليف مجلس بلدي [في القدس] وكان من جملة أعماله إنشاء نظام صرف صحي في سبعينات القرن التاسع عشر. وفي التسعينات جرى تنظيم جمع القمامة بصورة دورية، وعلقت مصابيح الكاز لإضاءة المدينة [...]". وفي سنة ١٨٩٢، افتتحت حديقة عامة للجمهور في المدينة [القدس] الجديدة في شارع يافا قبالة المسكوبية، حيث كانت فرقة موسيقية عسكرية تعزف فيها يومي الجمعة والأحد. [...] ونوقشت خطط لإدخال الحافلات الكهربائية ونظام الهاتف إلى المدينة. وفي سنة ١٩١٤، مُنحت بلدية القدس امتيازاً من أجل تزويد المدينة بالكهرباء. وشملت التغييرات الأخرى التي أحدثتها البلدية إنشاء قوة شرطة للمدينة في سنة ١٨٨٦، ودائرة إطفائية في منتصف التسعينات، ومستشفى تابع للبلدية في سنة ١٨٩١.^{٥١}

ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار الأسواق بروز نخبة اقتصادية وتجارية جديدة من فئة الموظفين وكبار الملاك والأسر الإقطاعية، وكذلك الهجرات اليهودية وهجرة الجوالي واستقرارها في المدينة، وازدياد عمليات التبادل التجاري بين الدولة العثمانية وأوروبا. وساعد على تطوير الأسواق وازدياد القوة الشرائية، توفر السيولة النقدية والعملة، إذ استبدلت العملات التركية بالجنيهات المصرية، ثم بالإنجليزية.^{٥٢} "في سنة ١٨٩٢ أنشئ خط سكة حديد ربط بين

عرفت الأسواق التجارية في القدس مراحل مدّ وجز منذ أواخر القرن الثامن عشر وصولاً إلى بدايات القرن العشرين ومنتصفه، إذ تغيرت البنية الهندسية والاقتصادية والوظيفية لهذه الأسواق، وخصوصاً بعد ثورة نقيب الأشراف، وحملة إبراهيم باشا، وتطور الملاحة البخارية، والتنظيمات العثمانية، والتبديل الهائل الذي حدث في ملكية الأراضي، وأخيراً حرب ١٩٤٨ التي تسببت بازدياد أهمية هذه الأسواق التي تم رصفها وتنظيمها في الفترة العثمانية المتأخرة وفي فترة الانتداب، كما جرى إضافة قنوات للصرف الصحي والقناطر للحماية من المطر والشمس. فالأسواق موجودة تاريخياً في داخل البلدة القديمة، وتمددت مع تمدد الأحياء في القدس الجديدة خارج الأسوار، وخصوصاً إلى جهة باب الخليل، ومأمن الله، والشماعة وشارع جوليان، والمسعودية والمرارة، وحي الساهرة وباب العمود، بينما تطورت الأسواق كثيراً في شارع يافا وشارع الملك جورج أو ما يُعرف بالمثلث التجاري في عشرينيات القرن الماضي. وتزامن ذلك مع تأسيس العديد من المؤسسات المهمة في شارع يافا مثل: القنصلية التركية؛ دار البلدية؛ دار الحكومة؛ البريد؛ بنك الأنجلو - بالستين؛ بنك باركليز؛ وغيرها. ويجدر هنا التركيز على الدور المهم الذي قامت به الجوالي في إحداث نهضة عمرانية وفكرية، من خلال إدخال العديد من الحرف الجديدة مثل: النجارة والتصوير والعزف على بعض الآلات الموسيقية، والفن المعماري الذي انعكس على نمط البناء في بعض الأحياء، بحيث شكلت هذه مجموعها حيزاً عاماً للمدينة المفتوحة.

ودور السينما^{٥٥} إلى درجة أن هذه المنطقة أصبحت القلب الثقافي والاقتصادي للقدس الغربية، وساهم في ذلك بشكل كبير اليهود الألمان الذين حاولوا أن يُبرزوا النمط الغربي في البناء والمشهد الهندسي.^{٥٥}

تسببت حرب ١٩٤٨ بتدمير الأسواق الموجودة في باب الخليل، ومأمن الله، والشماعة وشارع جوليان، وحي المصراة والمسعودية، كونها كانت على خطوط التماس، بينما أصبحت الأسواق الموجودة في شارع يافا وشارع الملك جورج أو ما يُعرف بالمثلث التجاري بيد العصابات الصهيونية. وبالتالي، صارت الأسواق العربية محصورة فيما بات يُعرف بالقدس الشرقية.

٤ - نمو الأحياء خارج الأسواق

تُعتبر الأماكن الدينية نقطة جذب أساسية للسكان وللجماعات المهاجرة والسياحة الوافدة، والقدس كانت مركزاً دينياً ونقطة جذب ومركزاً دينياً لأصحاب الديانات الثلاث، كما شكلت المواسم الدينية^{٥٦} فرصة للاستقرار والعمل في المدينة، وخصوصاً بعد تطور السياحة الدينية التي ازدهرت مع بدايات التغلغل الأجنبي. وفي الوقت نفسه، شكلت هذه المقدسات برميل وقود لعدة نزاعات وأحداث وثورات في تاريخ القدس. وشهدت المدينة في الفترة العثمانية المتأخرة بناء أحياء جديدة لليهود والعرب مع اختلاف السياق الذي تطورت فيه هذه الأحياء، وقد ساعد في تطور الأحياء خارج الأسواق تعزيز الأمن، وخصوصاً بعد حملة إبراهيم باشا وثورة نقيب الأشراف، إذ كانت البلدة القديمة تُغلق أبوابها عند الغروب، خوفاً من هجمات البدو وقطاع الطرق. وأقيم أول

القدس وميناء يافا الأقرب إليها. واستخدم هذا الخط في الأعوام الأولى بصورة واسعة لنقل الحجاج والمسافرين، لكن سرعان ما استُغل لنقل البضائع. كما ربطت طرقات واسعة ملائمة للعربات بين القدس من جهة، ويافا ورام الله ونابلس والخليل (عبر بيت لحم) وأريحا من جهة أخرى [....]. ومنذ سبعينات القرن التاسع عشر وصلت خطوط التلغراف مدينة القدس بمصر وبيروت وأوروبا، وتمتع السكان بخدمات بريدية متعددة، عثمانية وروسية وألمانية ونمساوية وفرنسية وإيطالية، لكنها لم تكن موحدة.^{٥٣} وفي عهد الانتداب، وضمن الخطة الهيكلية التي وضعها الإنجليز لتطوير الأسواق خارج المدينة القديمة وبناء حزام أخضر حول الأسواق، قام الإنجليز بإزالة وهدم معظم المحلات المجاورة لباب العمود وباب الخليل والملاصقة للأسوار. وقد اقتضت الخريطة الهيكلية الإنجليزية لتطوير الأسواق العمل في اتجاهين: الأول، في "ماميلا" أو مأمن الله، الملاصق لباب الخليل، حيث وُجد العديد من المؤسسات التجارية والبنوك والمقاهي؛ الثاني، كان في شارع يافا وهو ما سُمي حينها "المثلث التجاري"، وضم كل من شارع الملك جورج الذي بُني في سنة ١٩٢٤، وشارع بن يهودا الذي تأسس في سنة ١٩٢٢، وفيما بعد سوق "محنه يهودا"، وقد أُقيمت هذه الأسواق الجديدة على أراضٍ اشترتها الوكالة اليهودية من البطريركية اليونانية الأرثوذكسية بعد الحرب العالمية الأولى. ويتقاطع مع هذه الشوارع حي "نحالت" وشعباً اليهودي، وساحة صهيون، كما ضمت هذه الشوارع العديد من المتاجر والمقاهي

الوافدة من القرى والأرياف المحيطة، وخصوصاً من الخليل وبيت لحم والأرياف، وفيما بعد من اللاجئين بعد سنة ١٩٤٨، إذ استقر كثيرون من هؤلاء في المدينة، وشكلوا كيانات خاصة بهم، تماماً مثلما حدث مع مدينة بيروت التي استقر فيها أبناء الجبل والجنوب وأسسوا فيها أحياء جديدة. وأدت هذه التحولات الاقتصادية إلى بروز أحياء للنخب الاقتصادية والإقطاعية، وتحديداً حي الطالبية، ومناطق للعمالة الوافدة التي تركز معظمها في البلدة القديمة والأحياء المجاورة كالثوري وسلوان. وسينعكس هذا الواقع الجديد على طبيعة التفاعلات والتوترات بين سكان المدينة الواحدة، وسكان الحي الواحد.

أدت حرب ١٩٤٨ إلى انقسام المدينة وتهجير معظم الأحياء والقرى العربية في القدس الغربية مثل: الطالبية، والقطمون، والبقعة الفوقا والبقعة التحتا، فضلاً عن كثير من القرى المحيطة بالقدس مثل: عين كارم ولفتا ودير ياسين والمالحة وغيرها. وقد شهدت أحياء القدس الشرقية موجات نزوح كبيرة من اللاجئين القادمين^{٥٨} من القرى والأرياف والمدن الأخرى التي أصبحت خارج حدود الهدنة بعد الحرب.

٥ - الموقع الجغرافي وتطور طرق المواصلات

ساعد الموقع الجغرافي المركزي للقدس، والتطور الجاري في المواصلات في الفترة العثمانية المتأخرة وفي عصر الانتداب، في إحداث نهضة اقتصادية، كما يُعتبر القرب من بيروت والقاهرة من الأمور التي أحدثت تأثيرات في نمو المدن الفلسطينية^{٥٩}. ويُعتبر تطوير طرق المواصلات من أسباب ازدهار

حي لليهود في القدس في المونتيفيورية، وبُني على الطراز الأوروبي، وبتمويل من الثري اليهودي موشيه مونتيفيوري. وقد تم تشييد العديد من الأحياء الجديدة التي تزامن تأسيسها مع موجات الهجرة اليهودية^{٥٧} وموجات الهجرة الداخلية من الأرياف والمدن، ومن هذه الأحياء: المصراة؛ المسعودية؛ واد الجوز؛ الشيخ جراح؛ الشمامسة؛ الطالبية؛ القطمون؛ الراتزون؛ روميما؛ رحافيا؛ سنهدريا؛ مئة شعاريم؛ نحالوت شعبا؛ محناه يهودا؛ البقعة الفوقا؛ البقعة التحتا؛ تل بيوت؛ وغيرها. فعلى سبيل المثال: تم تعبيد شارع يافا في سنة ١٨٦١، وأصبح يربط بين يافا والقدس، ونشأ فيه العديد من المؤسسات التجارية، كما انتقلت بلدية القدس إلى شارع يافا في سنة ١٩٠٨، وقام بنقلها حسين أفندي الحسيني. كذلك أُقيم بعض الأحياء المجاورة لشارع يافا مثل المجمع الروسي، محناه يهودا، وحي نحالات شعبا الذي كان ثالث أحياء القدس التي بُني خارج الجدار، وبُني في سنة ١٨٦٠، وأُسسته ٧ عائلات يهودية، ويُعدّ اليوم قلب الحي التجاري في القدس الغربية. ومن الضروري هنا الالتفات إلى أهمية دور الامتيازات الأوروبية في تطور المدينة خارج الأسوار بما في ذلك الأسواق، وتحديداً إنجلترا وروسيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا، وقد جرى التعبير عن ذلك من خلال بناء عدة أديرة وكنائس ومستشفيات ومدارس تبشيرية ستؤدي دوراً مهماً في النهضة الفكرية والعمرانية، وفي تاريخ المدينة.

انبثق من ازدهار الاقتصاد والأمن في المدينة، بروز طبقة وسطى، وطبقة من الصناعيين والتجار والكومبرادور والعمالة

المشاريع الضخمة مثل مشروع روتنبرغ لتوليد الكهرباء ومصنع البوتاس واستغلال أملاح البحر الميت في العشرينيات، ونمو المصانع الحديثة مثل مصنع الكبريت ومصانع الصابون والمعاصر. وهنا لا بد من التشديد على الدور الذي أدته المستعمرات الصهيونية الأولى.

المحلية الجديدة

كثيراً ما كان هناك ارتباط تاريخي واقتصادي وإداري بين القدس والخليل، فالمسافة بينهما لا تتجاوز ٣٥ كم تقريباً، كما أن هناك تاريخاً مشتركاً، وأهمية دينية، ومصاهرة، وتحالفات سياسية وعائلية، وعلاقات اقتصادية، ولهذا لا معنى للحديث عن حدود فاصلة بين المدينة وعمقها ومحيطها الريفي. فتوافد الجماعات الوظيفية من الأرياف والمحيط، ونمو الأحياء والمراكز الاقتصادية وأحزمة الفقر من دلالات حداثة ونمو أي مدينة، إذ تنمو الجوالي والجماعات المهاجرة، أو تندثر اعتماداً على العامل الاقتصادي أو بفعل الحروب.

يؤدي توافد الجوالي واللاجئين والمهاجرين من الأرياف والمحيط إلى مراكز المدن إلى تشكيل كيانات مصغرة داخل المدينة الواحدة^{٦٢} سرعان ما تتطور لتشكّل أحياء أو مساحات داخل الأحياء كحال مدينة بيروت. فعلى سبيل المثال: ازدهرت الأحياء الجنوبية، أو ما بات يُعرف اليوم بـ "الضاحية الجنوبية"، بعد الهجرة الاقتصادية من الجنوب بُعيد الاستقلال،^{٦٣} حيث أسست هذه الجماعات مجتمعات خاصة بها داخل الحواضر، وهذه سمة الجماعات الوظيفية. تعاني الجماعات الوظيفية والمهاجرة

بعض المدن، فعلى سبيل المثال: ازدهرت مدينة بيروت وأصبحت مركزاً اقتصادياً وإدارياً مهماً بعد توسيع المرفأ، وخصوصاً بعد حملة إبراهيم باشا، وافتتاح طريق الشام الذي يربط بين بيروت ودمشق؛ وهو ما أدى إلى تطور الأسواق والمؤسسات التجارية فيها، وإلى جعل المدينة نقطة جذب، الأمر الذي أدى إلى هجرة كثير من أبناء الجنوب والجبل، وإلى تأسيس حواضر وأحياء جديدة والاستقرار فيها. وبالتالي، ازدادت أهمية بيروت نتيجة فتح طريق الشام، وتطوير المرفأ، وبالتالي تحولها إلى مركز للسياحة والمقاصد أو ما يُعرف بتدفق البترول دولار. وأدى تطوير السكك الحديدية^{٦٤} والموانئ إلى ازدياد عمليات التبادل التجاري بين الدولة العثمانية وأوروبا. فعلى سبيل المثال، ساهمت السياحة في تحسين الأوضاع الاقتصادية في القدس وبيت لحم، وازدهرت صناعة الخزف والتحف، كما ساعد التحسن في خدمات البنية التحتية مثل طرق المواصلات، وشبكات البريد والبرق وانتشار الأمن، في تحسّن الأوضاع الاقتصادية، بحيث إن دور الدولة العثمانية أصبح وظيفياً لبعض الدول الأوروبية من حيث توفير بعض المواد الخام كالقطن والقمح، وخصوصاً الحرير.

واستفادت القدس كونها أصبحت مركزاً اقتصادياً وإدارياً مهماً، من كثير من المشاريع التي أقامتها الدولة العثمانية، ومنها: افتتاح جسر يربط بين ضفتي نهر الأردن في سنة ١٨٨٥؛ مدّ سكة حديد^{٦٥} تربط بين يافا والقدس في سنة ١٨٩٢؛ تعبيد شارع يافا في سنة ١٨٦١، والذي بات يربط بين يافا والقدس. ولا ننسى كذلك بعض

عليها من خلال الحديث عن العصبية التي تحدث عنها ابن خلدون، إذ يفتخر بعض العائلات بوضعه الطبقي وبسالته وبانتمائه إلى أحد الأعيان أو الرموز... وهذا تعبير عن رأس المال الاجتماعي، والحيز العام الذي تحدث عنه هابرماس. والإرث العربي مزدان بشعر الحماسة الذي تخلل بعض موضوعاته ذكر مجد القبيلة والأطلال وغيرها، فرعاة الإبل في المجتمعات البدوية يتمتعون بسمات ثقافية واجتماعية لا يتوفر عليها رعاة الأغنام، بل إن رعاة الإبل يمثلون طبقة أرستقراطية في المجتمع البدوي، في الوقت الذي يمثل رعاة الأغنام البدو الأقل شأنًا، فهم يتمتعون بدرجة حرية أقل، ولا يملكون "حرية التنقل والهجرة"، وذلك بسبب اعتمادهم الدائم على الحضر وسكناهم في المناطق القريبة من التجمعات السكانية الريفية. "وإذ بُعد النسب بعض الشيء فربما تُنوسي بعضها، وتبقى منها الشهرة فتحمل على النصر لذي نسبة الأمر المشهور منه فراراً من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه. ومن هذا الباب الولاء والحلف، إذ نكرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب، وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريباً منها [...] إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له، ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام. فإذا كان ظاهراً واضحاً حمل النفوس على طبيعتها من النكرة كما قلناه، وإذا كان يُستفاد من الخبر البعيد ضَعْف فيه الوهم، وذهبت فائدته."^{٦٤}

ومن ناحية أخرى، فإن الاختلاف في الثقافة الداخلية، وبعض العادات والتقاليد،

حالات تمييز وبطش في بعض الأحيان، من طرف الجماعات التي تعتبر نفسها أصلية، وهذه الحالات تتمثل في النكات والأمثال والشتائم، إذ إن هذه الجماعات الأصلية كانت ترفض مزاحمة الغرباء والاندماج بهم إلا في حالة الحراك الطبقي والاجتماعي، الأمر الذي يجعل هؤلاء الغرباء يشكلون حواضر خاصة أو مدن صفيح أو أحزمة فقر حول المدن تعاني الهامشية والفقر. كذلك تتعرض هذه الجماعات لحالات تمييز وتأطير بسبب الدين والإثنية، ومكان السكن، ونوع العمل، واحتقار للعمل اليدوي الذي يمارسونه، فعلى سبيل المثال يعاني بعض الإيرلنديين الأميركيين والإيطاليين الأميركيين جزاء النماذج المقولبة والأحكام المسبقة ضدهم بسبب أصولهم ولكونهم جماعات مهاجرة، وهو ما ينسحب على المهاجرين الجزائريين الذين يعيشون في فرنسا. ففي السياق الاستعماري يكون الفصل بين المستوطنين والسكان المحليين، وقد وقع بعض العائلات الخيلية في مدينة القدس ضحية لهذه التقسيمات، فمعظم موضوعات النكات يتناول "العائلات الخيلية"، وأبنائهم هم السكان المتحدرون من مدينة الخليل أو الذين يعيشون في الخليل، وفي مصر هناك "الصعايدة"، وفي سورية هناك "الحماصنة"، وفي الأردن هناك "الطفالية"، وفي الولايات المتحدة، مع اختلاف السياق، هناك سكان الأرياف أو من يسمون الـ "Red Neck"، وهذه النكات العنصرية تجسد خطايا المجتمع وتخلّفه وأمراضه الاجتماعية كافة.

وتعتبر حالة التنافس هذه تعبيراً عن النرجسية الجماعية التي يعيشها بعض الطوائف والعائلات، والتي يمكن الاستدلال

حدث في مدينة الخليل في الصراع بين الأكراد والتميميين، كذلك الصراع بين الموارنة والدروز في سنة ١٨٦٠، أو حتى الصراع الدموي بين القبائل العربية والقبائل الأفريقية في دارفور.

على سعيد آخر، حافظ المهاجرون من العائلات الخليلية على الروابط والصلات مع المدينة الأم، بسبب علاقات النسب والمصاهرة، وملكية الأراضي الزراعية التي توارثوها، وبسبب التضامن العضوي والإلي مع فروع أبناء العائلة الواحدة. وفي الوقت نفسه، تغيرت أسماء بعض العائلات الخليلية الوافدة إلى القدس بين حين وآخر لعدة أسباب، فبعضها انتسب إلى أحد أجداده، أو إلى أحد الأعيان أو من كان بارزاً من عائلته، أو نسب نفسه إلى القرى والأماكن التي سكنوا فيها، بينما انتسب غيرهم إلى بعض المهن أو السلوكيات أو الصفات الجسمية، أو إلى بعض الكنى التي أطلقت على أحد أجدادهم. ووصل الأمر ببعضهم إلى تغيير اسم العائلة بسبب بعض الصراعات الدموية، أو لرفضهم المشاركة فيما يسمى "حمل الدم"، بينما انتسب آخرون، وهم كثيرون، إلى النبي محمد عليه السلام أو إلى أحد الصحابة. ومن الملاحظ أنه ليس كل من ينتمي إلى عشيرة أو حمولة، يكون منها، وإنما في العشيرة والحمولة من انضم إليها لغرض الحماية والحلف والولاء.

ومن الأسباب التي أدت إلى تغيير أسماء العائلات الانتشار والصراعات العائلية، فمن المعروف في طبقات الأنساب عند العرب وجود العديد من التقسيمات منها: الشَّعب،^{٦٥} القبيلة، العمارة^{٦٦}، البطن،^{٦٧} الفخذ،^{٦٨} الفصيلة وهكذا. وقد ساعد الاستعمار على تعزيز

واللهجة وطريقة نطقها، يصبح موضع تندر وموضوعاً لعدد كبير من النكات الشعبية والسخرية التي تؤدي هي الأخرى دوراً وظيفياً في التعبير عن بعض التناقضات الاجتماعية التي تبدو كنوع من الاستشراق الداخلي يضاف إليه فكرة الوعي المدني والوعي الريفي الأكثر محافظة. فهنا يتم التأطير من خلال استخدام القوالب الأنثوية - الذكورية للسخرية من الآخر، كذلك من خلال التهكم على طريقة اللباس والعادات واللهجة، ومكان السكن واحتقار للعمل اليدوي الذي يمارسه هذا الآخر، ضمن ثنائية أرقى - أدنى، يرافقها شعور بالخوف من المختلف، وذلك من خلال تصوير الآخر بحسب ثنائية من الأضداد المتصارعة والمتعارضة، والأحكام المسبقة والنماذج المقولبة لكل فئة. وهذه الأحكام المسبقة تشمل ثلاثة أنواع: الأول، صفات جسمية كلون البشرة والعيون والشكل والرائحة؛ الثاني، مواصفات سلوكية كاللباس والزواج والعادات ونوع الطعام؛ الثالث، مواصفات معرفية كالذكاء والأخلاق، ومواصفات انفعالية كالحب والغيرة والغضب والتسامح والعدوان، وفي حالة متطرفة من خلال الشيطنة وإزالة الصفة الإنسانية. تؤدي هذه التناقضات أحياناً في داخل المدينة الواحدة إلى حالة من الانفجار الذي يكون على شكل حرب أهلية أو حرب بين الفقراء والأغنياء تكون العوامل الطائفية فيها الشكل لهذا الصراع، بينما يكون فحوى هذه النزاعات الصراع على السلطة والزعامة والموارد. وفي هذه الحالة تنمو العصبية أو القوميات التي تطالب بعد فترة بالانفصال مثلما حدث في يوغسلافيا السابقة، أو تمر على شكل موجات من العنف المتبادل كما

حالة ثابتة أو جامدة، ذلك بأن بعضها متغير، ويتأثر بما يدور حوله؛ وبالتالي، فإن التعامل مع هذه الظواهر متحيز ويتبنى وجهة نظر المستعمر والمستشرق، ولا يتضمن محاولة لفهم السياقات الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية التي ولدت ظاهرة كهذه. وهذا بحد ذاته يدفعنا إلى التطرق إلى قضية الإمبريالية المعرفية، فبسبب هذه القضية هناك تركيز دائم على البعد الثقافي للظواهر، بمعنى أننا نتعامل مع الظواهر بعلاقتها مع ثقافة مجتمع ما، وهذا تاريخياً مرتبط بإنتاج المعرفة في المجتمعات المستعمرة مع ربطها بفكرة الاستشراق والاستشراق الداخلي. ولذا، لا يمكن التعامل مع ظواهر في المجتمعات المستعمرة من دون أن يكون هناك نقد لإمبريالية المعرفة، أو أن يكون هناك نقد ذاتي للظاهرة أو ما يمكن تسميته النقد المزدوج.^{٦٩} ■

الانتماءات الطائفية والترسيخات العائلية، من خلال التقسيم وخلق هويات عائلية ومحلية؛ والنتيجة هي أن الانتماء الطائفي والعائلي أصبح هو الغالب في المجتمع، لأن السقف الزجاجي الاستعماري، مثلما يقول إسماعيل الناشف، يمنع تطور الانتماءات الأخرى.

خلاصة

تشكل هجرة العائلات الخيلية للأسباب السالفة الذكر، أو بسبب كونها موضوع النكت الشعبية، ظاهرة اجتماعية يجب دراستها، إذ لا يمكن الحديث عن أي ظاهرة بالاقتصار على بعدها الفكري والثقافي فقط، فبعض الظواهر الاجتماعية مرتبط بسياقه الديني والاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ويختزل تناقضات اجتماعية واقتصادية كبيرة. كذلك لا يمكن التعامل مع بعض الظواهر كأنها

المصادر

- ١ انظر للأهمية: ألبرت حوراني، "تاريخ الشعوب العربية"، ترجمة كمال خولي (بيروت: مكتبة نوفل، ط ١، ١٩٩٧).
- ٢ كان يقال لفلسطين بلاد لحم وجدام.
- ٣ ينقسم المسيحيون الفلسطينيون إلى أربع طوائف أساسية هي: الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية، والكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية، والكنائس الرومانية الكاثوليكية وتشمل "اللاتينية والشرقية"، وأخيراً الكنائس البروتستانتية.
- ٤ انظر: محمد الأرناؤوط، "من التاريخ الحضري لبلاد لشام خلال القرن الأول للحكم العثماني" (عمّان: دار الآن ناشرون وموزعون، ٢٠١٨).
- ٥ أسكن صلاح الدين كثيراً من الأكراد في مدينة الخليل.
- ٦ تُنسب حارة السعدية الموجودة في القدس القديمة إلى بني سعد.

- ٧ تزامن وجود المغاربة الرسمي في القدس مع الفتح الصلاحي، وقد شارك كثير منهم في تحرير القدس، لكن هذا لا ينفي وجود بعض العلماء ورجال الدين المغاربة ممن استقر في المدينة عبر الحقب المتعددة.
- ٨ وخصوصاً من قبائل السلامات التي توجد في مناطق تشاد ودارفور في غرب السودان.
- ٩ من أهم العائلات ذات الأصول الشركسية التي أدت دوراً مهماً عائلة فروخ التي تُنسب إلى مؤسسها فروخ بن عبد الله، الشركسي الأصل الذي بدأ حياته كأحد المماليك، ثم أصبح حاكماً لنابلس، ثم لواء القدس.
- ١٠ انظر: عبد الوهاب الكيالي، "تاريخ فلسطين الحديث" (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١٠، ١٩٩٠).
- ١١ جوزيف مسعد، "مقدمة للنكبة: الاستعمار البروتستانتي الأوروبي لفلسطين"، مجلة "كنعان" الإلكترونية، ٢٠٢٠، في الرابط التالي: <https://tinyurl.com/y4vm5atv>
- ١٢ بيان نويهض الحوت، "صفحات أرمنية في تاريخ القدس"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٤٣ (صيف ٢٠٠٠)، ص ٦٣.
- ١٣ صالح عبد الجواد، "تأثير الهجرة الفلسطينية في ملكية الأراضي والزعامة المحلية: حالة مدينة البيرة (١٩٠٩ - ١٩٤٨)"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٧٨ (ربيع ٢٠٠٩)، ص ٨١ - ٩٦.
- ١٤ هذه كنية شعبية تطلق على السكان العرب الذين يعيشون في مدينة القدس، وتتحدر أصول عائلاتهم من مدينة الخليل التي تقع في جنوب الضفة الغربية.
- ١٥ انظر: سليم تماري وعصام نصار، "القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة، ١٩٠٤ - ١٩١٧" (القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٣).
- ١٦ لا توجد مصادر دقيقة للأعداد التي جلت من الخليل، أو للزمن الذي استقرت خلاله في القدس في هذه الفترة، كون أغلبية العائلات توافدت في بدايات القرن العشرين.
- ١٧ انظر: أرنون - أوحانه يوفال، "الصراع الداخلي من أجل الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٢٩ - ١٩٣٩" (تل أبيب: ياريف هدار بالتعاون مع مؤسسة شيلواح، ١٩٨١)، (بالعبرية).
- ١٨ سميح حمودة، "ظهور زعامة مفتي القدس: الحاج محمد أمين الحسيني وعلاقاته السياسية من خلال وثائق وأوراق المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في فلسطين"، "حوليات القدس"، العدد ٧ (ربيع - صيف ٢٠٠٩)، ص ٦١ - ٨١.
- ١٩ كان لظهور فخر الدين المعني الثاني في جبل لبنان ومحاولات توسّعه في فلسطين أثر خاص في نشوء بعض العائلات.
- ٢٠ من العائلات الغزبية ومن أبرز وأقوى أمراء الحلف الثلاثي الذين واجهوا فخر الدين المعني، واستمروا في أداء دور مهم في تاريخ فلسطين حتى سبعينيات القرن السابع عشر.
- ٢١ كان آل فروخ حكام القدس ونابلس، وساهموا في حماية فلسطين من أطماع فخر الدين المعني الثاني، وقد انتهى دور هذه العائلة في فلسطين، مثلما حدث لآل رضوان وآل طراباي في نهاية القرن السابع عشر.
- ٢٢ تركّز وجود هذه العائلة في الجليل وساحل حيفا، وحل محلهم آل طوقان في نابلس، وآل جرار في منطقتي جنين ونابلس.
- ٢٣ حدثت هذه الثورة خلال الفترة ١٧٠٣ - ١٧٠٥، وشارك فيها سكان البلد من البدو والفلاحين وسكان المدن ضد السلطة الحاكمة.

- ٢٤ غنايم، زهير وآخرون، "فلسطين في نهاية العصر العثماني من خلال الرحلة التي قام بها محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت الكاتب تحت عنوان ولاية بيروت"، ج ١ (عمان: الشركة الجديدة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠)، ص ١٤.
- ٢٥ أطلق اسم التنظيمات على جملة الإصلاحات الجديدة التي أعلنت في عهد السلطانين عبد المجيد وأخيه عبد العزيز لتميزها من الإصلاحات التي تم تنفيذها في أواخر القرن الثامن عشر حتى وفاة السلطان محمود الثاني في سنة ١٨٣٩.
- ٢٦ انظر: وليد سالم، محرر، "فكر الحداثة" (القدس: جامعة القدس ومركز القدس لتطوير المجتمع، ٢٠١١).
- ٢٧ انظر: سليم تماري، "ما بين الأعيان والأوباش: الرؤية الجوهرية في تاريخ القدس الاندماجية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٦٠/٦١ (شتاء ٢٠٠٤)، ص ١٠٨ - ١٣٨.
- ٢٨ انظر للأهمية: عادل مناع، "لواء القدس في أواسط العهد العثماني" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ١، ٢٠٠٨)، الفصل السادس.
- ٢٩ القيسية واليمنية ظاهرة قديمة تمتد جذورها إلى الجاهلية والإسلام، ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعصبة القبلية، فقد أطلق على عرب الشمال اسم القيسية، بينما أطلق على عرب الجنوب اسم اليمنية، وتعود جذور هذا الصراع إلى ما بعد انهيار سد مأرب في اليمن. وقد اشتد الصراع بين القيسية واليمنية في إبان الحقبة الأموية، وخصوصاً في أثناء الصراع على الحكم بين عبد الله بن الزبير الذي كانت مكة مقر خلافته، وبين الأمويين الذين كانت الشام مقر خلافتهم، إذ أيد القيسية عبد الله بن الزبير، بينما أيد اليمنيون الأمويين. وبعد انتهاء حملة إبراهيم باشا في سنة ١٨٤٠، استمرت النزاعات القبلية، وحدثت عدة معارك بينها، ولا سيما بين آل سمحان "زعماء القيسية"، وأبو غوش "زعماء اليمنية".
- ٣٠ انظر أيضاً: ألبرت حوراني، "الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ - ١٩٣٩"، ترجمة كريم عزقول (بيروت: دار النهار للنشر، ط ٤، ١٩٨٦).
- ٣١ مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٧.
- ٣٢ مصطفى مراد الدباغ، "بلادنا فلسطين" (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٦).
- ٣٣ مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٥.
- ٣٤ عند الفتح الصلاحي للقدس أسكن صلاح الدين عدداً كبيراً من الأكراد في مدينة الخليل.
- ٣٥ نسبة إلى الصحابي تميم الداري، وتعود أصولهم إلى لخم.
- ٣٦ مركز زعامتهم في قرية راس كركر، بينما كانت قرية العنب أو أبو غوش على الطريق بين يافا والقدس مركز زعامته آل أبو غوش.
- ٣٧ مناع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧١.
- ٣٨ وليد صليبي، "القصة هي الحصاة" (بيروت: دار مختارات، ١٩٨٤)، ص ١٦.
- ٣٩ سبترز أهمية الزعامات الدينية في الثورات المتتابعة ضد الإنجليز، كون سياق هذه الثورات كان في الأماكن الدينية، وخصوصاً ثورة البراق.
- ٤٠ محسن محمد صالح، "موقف أهل شمال فلسطين من نهاية الدولة العثمانية وبداية الاحتلال البريطاني"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٦٣ (صيف ٢٠٠٥)، ص ٥١ - ٦٧.
- ٤١ صليبي، مصدر سبق ذكره.
- ٤٢ Howard Crane, "The Age of Sinan: Architectural Culture in the Ottoman Empire, by

Gülru Necipoğlu”, *Journal of Islamic Studies*, vol. 20, issue 2 (May 2009), pp. 274-277.

٤٣ جمال مسعود وآخرون، "أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: الدولة العثمانية"، ج ٢ (الإسكندرية: الوفاء للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٥).

انظر أيضاً: سليم تماري وآخرون، محرر، "القدس ١٩٤٨: الأحياء العربية ومصيرها في حرب ١٩٤٨" (رام الله: مؤسسة الدراسات المقدسية ومركز بديل، ٢٠٠٤).

٤٤ Kate Fleet, Book review, "Gold for the Sultan: Western Bankers and Ottoman Finance, 1856-1881, Christopher Clay: Gold for the Sultan: Western Bankers and Ottoman Finance, 1856-1881", *Journal of Islamic Studies*, vol. 14, issue 1 (1 January 2003), pp. 98-100.

٤٥ انظر للأهمية: مجموعة مؤلفين، محرر، "عصر النهضة: مقدمات ليبرالية للحدث" (بيروت: مؤسسة رينيه معوض والمركز الثقافي العربي ومؤسسة فريدريش ناومان، ط ١، ٢٠٠٠)، ص ١٦٥.

٤٦ انظر: سليم تماري، "مقهي الصعاليك وإمارة البطالة المقدسية"، "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٥٧ (شتاء ٢٠٠٣)، ص ١١٧ - ١٣٣.

٤٧ ازدهرت دور السينما في تلك الفترة، ففي القدس وحدها كان هناك أكثر من عشر دور سينما بحسب ما يورد عارف العارف، كما ورد الحديث عن عروض هذه السينمات في مذكرات هالة السكاكيني.

٤٨ انظر أيضاً: حليم بركات، "المجتمع العربي المعاصر" (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٦، ١٩٩٨).

٤٩ للاستزادة في هذا الموضوع، انظر: عبد الجواد، مصدر سبق ذكره.

٥٠ عصام نصار، "الحياة اليومية كمصدر لدراسة التاريخ"، "حوليات القدس"، العدد ٢ (شتاء ٢٠٠٤)، ص ٤٩ - ٥٧.

٥١ تماري وآخرون، محرر، "القدس ١٩٤٨..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

٥٢ حسن عبد العال، قراءة في كتاب "النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية والأجنبية من القرن السادس قبل الميلاد وحتى عام ١٩٤٦" للكاتب سليم عرفات المبيض، "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٧٠ (ربيع ٢٠٠٧)، ص ١٤٤ - ١٤٧.

٥٣ تماري وآخرون، محرر، "القدس ١٩٤٨..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

٥٤ كان يوجد في تلك المنطقة نحو ١٤ داراً للسينما أشهرها سينما زيون وركس وريجنت وغيرها.

٥٥ من أشهر المهندسين في ذلك المجال روبين رابينوفيتش الذي صمم ما يزيد على ١٥ مبنى في تلك المنطقة.

٥٦ انظر: كامل العسلي، "مواسم النبي موسى في فلسطين: تاريخ المواسم والمقام" (عمان: منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٩٠).

٥٧ انظر: عبد الفتاح عويس، "جذور القضية الفلسطينية، ١٧٩٩ - ١٩٢٢" (الخليل: دار الحسن للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٩٢).

٥٨ انظر للأهمية: روزماري صايغ، "الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة"، ترجمة وتحقيق خالد عايد (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٠).

٥٩ نقولا زيادة، "لبنانيات: تاريخ وصور" (لندن وقبرص: دار رياض الريس للكتب والنشر، ط ١، ١٩٩٢).

٦٠ إريك هوبزباوم، "عصر الثورة: أوروبا ١٧٨٩ - ١٨٤٨"، ترجمة فايز الصياغ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، ٢٠٠٨).

- ٦١ جوني منصور، "دور سكة حديد الحجاز في تطور مدينة حيفا"، "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٦٥ (شتاء ٢٠٠٦)، ص ٤٤ - ٦٠.
- ٦٢ تركز وجود الأسر الخليلية في القدس، وتحديدًا في مناطق البلدة القديمة، الثوري، الرام والعيزرية والزعيم والضاحية وبيت حنينا الجديدة.
- ٦٣ فواز طرابلسي، "تاريخ لبنان الحديث" (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط ١، ٢٠٠٨).
- ٦٤ عبد الرحمن ابن خلدون، "المقدمة"، تحقيق حامد أحمد الطاهر (القاهرة: دار الفجر للتراث، ط ١، ٢٠٠٤)، ص ١٧١.
- ٦٥ وهو النسب الأبعد الذي تنتسب إليه القبائل.
- ٦٦ وهي أحد فروع القبيلة.
- ٦٧ وهو الفرع من العمارة.
- ٦٨ وهو أحد فروع البطن.
- ٦٩ انظر: عبد الكبير الخطيبي، "النقد المزدوج" (الرباط: منشورات عكاظ، ٢٠٠٠).

قائمة المراجع

- ابن خلدون، عبد الرحمن. "المقدمة". تحقيق حامد أحمد الطاهر. القاهرة: دار الفجر للتراث، ط ١، ٢٠٠٤.
- الأرنؤوط، محمد. "من التاريخ الحضري لبلاد لشام خلال القرن الأول للحكم العثماني". عمان: دار الآن ناشرون وموزعون، ٢٠١٨.
- بركات، حلیم. "المجتمع العربي المعاصر". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٦، ١٩٩٨.
- تماري، سليم. "مقهى الصعاليك وإمارة البطالة المقدسية". "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٥٧ (شتاء ٢٠٠٣)، ص ١١٧ - ١٣٣.
- _____. "ما بين الأعيان والأوباش: الرؤية الجوهرية في تاريخ القدس الانتدابية". "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٦٠/٦١ (شتاء ٢٠٠٤)، ص ١٠٨ - ١٣٨.
- تماري، سليم وآخرون، محرر. "القدس ١٩٤٨: الأحياء العربية ومصيرها في حرب ١٩٤٨". رام الله: مؤسسة الدراسات المقدسية ومركز بديل، ٢٠٠٤.
- تماري، سليم وعصام نصار. "القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، ١٩٠٤ - ١٩١٧". القدس: مؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٣.
- حمودة، سميح. "ظهور زعامة مفتي القدس: الحاج محمد أمين الحسيني وعلاقاته السياسية من خلال وثائق وأوراق المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في فلسطين". "حوليات القدس"، العدد ٧ (ربيع - صيف ٢٠٠٩)، ص ٦١ - ٨١.
- الحوت، بيان نويهض. "صفحات أرمنية في تاريخ القدس". "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٤٣ (صيف ٢٠٠٠)، ص ٦٣ - ٧٣.
- حوراني، ألبرت. "الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ - ١٩٣٩". ترجمة كريم عزقول. بيروت: دار النهار للنشر، ط ٤، ١٩٨٦.

- _____ "تاريخ الشعوب العربية". ترجمة كمال خولي. بيروت: مكتبة نوفل، ط ١، ١٩٩٧.
- الخطيبي، عبد الكبير. "النقد المزدوج". الرياض: منشورات عكاظ، ٢٠٠٠.
- الدباغ، مصطفى مراد. "بلادنا فلسطين". بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٦.
- زيادة، نقولا. "لبنانيات: تاريخ وصور". لندن وقبرص: دار رياض الريس للكتب والنشر، ط ١، ١٩٩٢.
- سالم، وليد، محرر. "فكر الحداثة". القدس: جامعة القدس ومركز القدس لتطوير المجتمع، ٢٠١١.
- صالح، محسن محمد. "موقف أهل شمال فلسطين من نهاية الدولة العثمانية وبداية الاحتلال البريطاني". "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٦٣ (صيف ٢٠٠٥)، ص ٥١ - ٧١.
- صايغ، روزماري. "الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة". ترجمة وتحقيق خالد عايد. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٠.
- صليبي، وليد. "القصة هي الحصة". بيروت: دار مختارات، ١٩٨٤.
- طرابلسي، فواز. "تاريخ لبنان الحديث". بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط ١، ٢٠٠٨.
- العارف، عارف. "المفصل في تاريخ القدس". القدس: مكتبة الأندلس، ط ٣، ١٩٩٢.
- عبد الجواد، صالح. "تأثير الهجرة الفلسطينية في ملكية الأراضي والزعامة المحلية: حالة مدينة البيرة (١٩٠٩ - ١٩٤٨)". "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٧٨ (ربيع ٢٠٠٩)، ص ٨١ - ٩٦.
- عبد العال، حسن. قراءة في كتاب "النقود العربية الفلسطينية وسكاتها المُنديّة والأجنبية من القرن السادس قبل الميلاد وحتى عام ١٩٤٦" للكاتب سليم عرفات المبيض. "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٧٠ (ربيع ٢٠٠٧)، ص ١٤٤ - ١٤٧.
- العسلي، كامل. "مواسم النبي موسى في فلسطين: تاريخ المواسم والمقام". عمّان: منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٩٠.
- عويسي، عبد الفتاح. "جذور القضية الفلسطينية، ١٧٩٩ - ١٩٢٢". الخليل: دار الحسن للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٩٢.
- غنايم، زهير وآخرون. "فلسطين في نهاية العصر العثماني من خلال الرحلة التي قام بها محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت الكاتب تحت عنوان ولاية بيروت". ج ١. عمّان: الشركة الجديدة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
- الكيالي، عبد الوهاب. "تاريخ فلسطين الحديث". بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١٠، ١٩٩٠.
- مجموعة مؤلفين، محرر. "عصر النهضة: مقدمات ليبرالية للحداثة". بيروت: مؤسسة رينيه معوض والمركز الثقافي العربي ومؤسسة فريدريش ناومان، ط ١، ٢٠٠٠.
- مسعد، جوزيف. "مقدمة للنكبة: الاستعمار البروتستانتي الأوروبي لفلسطين". مجلة "كنعان" الإلكترونية، ٢٠٢٠، في الرابط التالي: <https://tinyurl.com/y4vm5atv>
- مسعود، جمال وآخرون. "أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: الدولة العثمانية". ج ٢. الإسكندرية: الوفاء للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٥.
- مناع، عادل. "لواء القدس في أواسط العهد العثماني". بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ١، ٢٠٠٨.
- منصور، جوني. "دور سكة حديد الحجاز في تطور مدينة حيفا". "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد ٦٥ (شتاء ٢٠٠٦)، ص ٤٤ - ٦٠.

- نصار، عصام. "الحياة اليومية كمصدر لدراسة التاريخ". "حوليات القدس"، العدد ٢ (شتاء ٢٠٠٤)، ص ٤٩ - ٥٧.
- هوبزباوم، إريك. "عصر الثورة: أوروبا ١٧٨٩ - ١٨٤٨". ترجمة فايز الصياغ. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، ٢٠٠٨.
- يوفال، أرنون - أوحانه. "الصراع الداخلي من أجل الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٢٩ - ١٩٣٩". تل أبيب: ياريف هدار بالتعاون مع مؤسسة شيلواح، ١٩٨١ (بالعبرية).

المراجع الأجنبية

- Crane, Howard. "The Age of Sinan: Architectural Culture in the Ottoman Empire, by Gülru Necipoğlu". *Journal of Islamic Studies*, vol. 20, issue 2 (May 2009), pp. 274-277.
- Fleet, Kate. Book review. "Gold for the Sultan: Western Bankers and Ottoman Finance, 1856-1881, Christopher Clay: Gold for the Sultan: Western Bankers and Ottoman Finance, 1856-1881". *Journal of Islamic Studies*, vol. 14, issue 1 (1 January 2003), pp. 98-100.

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

تقسيم فلسطين: من الثورة الكبرى ١٩٣٧ - ١٩٣٩ إلى النكبة ١٩٤٧ - ١٩٤٩

وليد الخالدي

٣٣٨ صفحة ١٦ دولاراً